



دوستويفسكي: «الهدّام» العظيم

في تعليقه على رواية «الإخوة كارامازوف» لفيودور دوستويفسكي (1821 - 1881)، قال أحد الرهيات مرة إن الروائي الروسي عرفه كيف يبرر الكفر أكثر من الكفار أنفسهم. بعد سنوات، صارت روايات دوستويفسكي من أبرز الأعمال الممنوعة في روسيا الإتحاد السوفياتي. ودعنا الروائي الروسي مع «الإخوة كارامازوف»، التي أصبحت مرجعاً نفسياً لسيغموند فرويد. إلى جانب أعمال أخرى كـ «المقاصر» و«الجريمة والعقاب». وهذه السنة، تحل الذكرى المائة والخمسين على صدور «الجريمة والعقاب» عام 1866 بشكل متسلسل في مجلة «الرسول الروسي». روديون راسكولنيكوف بطل الرواية الهارب من راسه يصطدم بمدينة تلسعها الحرارة و«تفوح منها روائح» السكارى والفقير والخذارة. هذه المدينة ليست سوى سان بطرسبرغ. مسرح أحداث الرواية. يكتب راسكولنيكوف مقالاً في إحدى الجرائد يبرر فيه أن التطور البشري يستمد استمراره من العنف نفسه. وأن معظم «الرجال العظماء» اكتسبوا هذه الصفة من كونهم «هدّامين عظماء». انطلاقاً من هذه المعادلة، يقتل راسكولنيكوف المرأة المسنة التي يفترض منها مالاً وفي هذه المناسبة أيضاً. تستعيد المدينة الروسية أحد أعظم روايتيها من خلال معرض حول أجواء الرواية القائمة التي توغل في النفس البشرية عبر اختبارات وصراعات قصوى للخير والشر والإيمان والإلحاد والفقير والعمية والعزلة. المعرض يحتضنه «متحف دوستويفسكي» في سان بطرسبرغ الذي سكنه دوستويفسكي مرة. ويضم نصوصاً من الرواية إلى جانب رسومات وأكسسوارات ومقتنيات من روسيا القرن التاسع عشر تحاول استعادة أجواء الرواية المعقدة والسوداء. ينصرف المعرض أيضاً إلى الخلفية الفكرية للرواية من خلال النصوص الدينية المسيحية والفلسفية. حتى اليوم، لا تزال أسئلة الرواية تظل معظم النقاشات السياسية والنفسية والأخلاقية والوجودية في حياتنا المعاصرة. هذا ما دفع الفيلسوف الإنكليزي جوناثان غلوفر إلى اعتبار نقاش العنف والرجال العظماء الذي كتبه راسكولنيكوف في الرواية بشكل «خلفية» لحياتنا وحروبنا المعاصرة التي تبرز القتل بدعوى الحرية كما تفعل أميركاً مثلاً. ليصبح عدد القتلى مجزئاً أضرار جانبية. وبعيداً عن سان بطرسبرغ، انطلقت في المسرح الموسيقي في موسكو ومس أوبرا «الجريمة والعقاب» التي أنجزها السينمائي الروسي أندريه كونتشالوفسكي. بالتعاون مع الملحن الروسي إدوارد ارتيميف.